

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

ونظام الدين الأصفهاني^(١)

لمدينة أصفهان عروس بلدان إيران مقام سام ومكانة جليلة في تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ الحفاظ على اللغة العربية والعروبة منذ الفتح الاسلامي حتى العصور المتأخرة ، ولقد خيل إليّ أنها من المدن المظلومة في التاريخ ، وكأن ينبغي لمؤرخي الأدب العربي من العرب وغيرهم أن يخصصوها بمباحث تحكي الدور الذي قامت به في قصة الأدب العربي حتى في عصور المغول التي انتعشت فيها اللغة الفارسية ، وانتهض فيها الأدب الفارسي انتهاضاً عاماً شاملاً ، فتأخذ المكان اللائق بها مع الكوفة والبصرة وبغداد في تاريخ الأدب العربي .

لقد لحظت هذه الخصيصة وهذه المزية من خصائص أصفهان ومزاياها بعد بحث طويل وتأمل وإنعام نظر ، وتحقيق دقيق ، في تاريخها وسير أدبائها وشعرائها ، وأعيانها وأعلامها ، وذهبت مذاهب شتى في تحليل ذلك وتحليله ، ولا أشك - وما أكثر شكوكي - في قوة العنصر العربي الذي استوطنها بعد الفتح الاسلامي لصحة هوائها وجودة أرضها وكثرة خيراتها ووفرة مكاسبها ، وتنوع محاسنها ، واختلاف فضائلها ، التي ذكرها الأديب مفضل ابن سعد المافروخي الأصفهاني في كتاب محاسن أصفهان ، وياقوت الحموي في معجم البلدان ، وغيرهما من الأدباء وعلماء البلدان كالقاضي القزويني .

قال القزويني في كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » : « أصفهان مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها ، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة ، من طيب التربة وصحة الهواء

(١) « محاضرة ألقى على طلاب كلية اللاهوت والنقول من جامعة طهران بدعوة من عميدها ووافقة

من رئيس الجامعة » .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الأبدان ، وحسن صورة (كذا) أهلها وحذقهم في العلوم والصناعات حتى قالوا : كل شيء استقصى صناع أصفهان في تحسينها (كذا) عجز عنها صناع جميع البلدان قال الشاعر :

لست آسى من أصفهان على شيء سوى مأثها الرجيق الزلال

ونسيم الصبا ومنخرق الريد ج وجو صاف على كل حال

... ولصناعها يد باسطة في تدقيق الصناعات ، لا ترى خطوطاً كخطوط أهل أصفهان ولا تزويقاً كتزويقهم وهكذا صناعهم في كل فن ، فاقوا جميع الصناعات ، والفخار يعمل كوزاً وزنه أربعة مثاقيل يسع ثمانية أرتال ماءً وقس على هذا جميع صناعاتهم » (١) .

ومن الأدلة القوية الدالة على شدة العنصر العربي فيها قديماً شيوع المذهب الحنبلي فيها ، والمذهب الحنبلي أقرب المذاهب إلى الطبيعة العربية ، كما أن المذهب الحنفي أقرب المذاهب إلى الطبيعة التركية والمذهب الامامي والمذهب الشافعي أقرب المذاهب إلى الطبيعة الفارسية قديماً وحديثاً . ونريد بالطبيعة المزاج العقائدي المتكون من المربي والتاريخ والمجتمع . قال النجاشي في كتابه رجال الشيعة في ترجمة ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي أبي اسحاق : « أصله كوفي . . وانتقل إلى أصفهان وأقام بها وكان زيدياً أولاً ثم انتقل إلينا ويقال إن جماعة من القميين ... وفدوا إليه وسألوه الانتقال إلى قم فأبى ، وكان سبب خروجه من الكوفة أنه عمل كتاب المعرفة وفيه المناقب المشهورة والمثالب فاستعظمه الكوفيون وأشاروا عليه بأن يتركه ولا يخرج به . فقال : أي البلاد أبعد من الشيعة ؟ فقالوا أصفهان . خلف لا أروي هذا الكتاب إلا بها ، فانتقل إليها ورواه بها ثقة منه بصحة ما رواه فيه (٢) .

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، طبعة دار صادر بيروت سنة

١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

(٢) رجال النجاشي ، ص ١٢ طبعة عمي .

وفي الربع الأول من القرن الثالث للهجرة كان الخصيب بن أسلم على أصفهان فاستقدم إليها أديباً راوياً ولغوياً بارعاً هو أبو (نصر وجاء في بعض الأخبار أنه أبو حاتم والكنى تتعدد للواحد عندهم) أحمد بن حاتم الباهلي أحد تلامذة الأصمعي المشاهير وراوي كتبه وكان بصرياً كأستاذه ومنحرفاً عن العلويين كشيخه الأصمعي وكأغلب أهل البصرة أيامئذٍ وكان أبو حاتم الباهلي قد أخذ الأدب ولغة العرب عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري وأقام ببغداد وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني ، ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء والزبيدي في طبقات النحويين قال ياقوت : « حكى عن الأصمعي أنه كان يقول : ما يصدق علي إلا أبو نصر الباهلي - يعني أحمد بن حاتم - وكان ثقة مأموناً ... وذكره حمزة الاصبهاني في كتاب أصفهان قال : ولما أقدم الخصيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الاصمعي إلى أصفهان نقل الباهلي معه مصنفات الاصمعي وأشعار شعراء الجاهلية وشعراء الاسلام مقروءة على الاصمعي وكان قدومه أصفهان بعد سنة (٢٢٠) فأقام شهراً ثم تأهب منها للحج فدخل الى عبد الله بن الحسن وسأله أن يده له على رجل يسلم اليه دفاتره إلى أن يرجع ، فقال : عليك بمحمد بن العباس - وكان مؤدب أولاد عبد الله ابن الحسن ، مقبول القول - فسلم الباهلي اليه دفاتره وخرج ، فاستدعى به بن عبد الله الناس ، فقدم الباهلي وقامت قيامته ودخل الى عبد الله بن الحسن وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكمسب بها ، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل أصفهان عشرة آلاف درهم ، ووصله الخصيب بعشرين ألفاً فتناولها ورجع إلى البصرة » ^(١) ، قال ياقوت أيضاً : « ومات الباهلي فيما ذكر هو وأبو عبد الله بن الأعرابي وعمرو بن أبي عمران الشيباني في سنة (٢٣١) وقد نيف على السبعين ... وله من التمهانيف كتاب الشجر والنبات وكتاب اللبأ واللبن وكتاب الابل وكتاب أبيات المعاني وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الزرع والنخل

(١) « معجم الأدباء ١ : ٤٠٥ - ٤٠٧ طبعة مرغابوت الأولى » .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وكتاب الخيل وكتاب الطير وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الجراد»^(١). وقد ذكر هذه الكتب أيضاً قبل ياقوت ابن النديم في فهرسته^(٢)، وذكر له القفطي في إنباه الرواة على أنباه النجاة كتاب الشجر والنبات وكتاب الابل وكتاب الخيل وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الزرع والنخل وكتاب أبيات المعاني وقال: «حدث عن الباهلي إبراهيم الحربي الشيخ الصالح - رض - وأبو العباس ثعلب وكان ثقة»^(٣).

ونحن لا نشك أن انتقاله إلى أصفهان كان موافقاً لهواه لما يعلم من أحوال أهل أصفهان القدماء من التمسك بالعربية والعروبة المتعصبة، ولو لم تكن على هواهم لاجتواهم فمن قدماء الحنابلة في أصفهان أبو مسعود أحمد بن الفرات الضبي الرازي ثم الأصفهاني، قال أبو الحسن محمد بن أبي يعلى بن الفراء في طبقات الحنابلة: «ذكره أحمد بن حنبل بالحفظ وظهر السنة بأصفهان»^(٤). ونسبه الضبي يدل على أنه عربي من قبيلة ضبة أصحاب الجمل المحاربين للإمام علي - عليه السلام -.

ومنهم إبراهيم بن محمد بن الحارث الأصفهاني، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل^(٥)، وعلي بن أحمد بن الفرات أخو أحمد بن الفرات الذي ذكرته آنفاً^(٦)، وأبو يحيى الفضل ابن عبد الصمد الأصفهاني الم رابط بطرسوس، ومن حنابلة أصفهان بنو منده الأصفهانيون وفيهم المحدث والمؤرخ والحافظ، فأبو زكريا يحيى بن عبد الله بن منده الأصفهاني المتوفى سنة ٤٤٥ هو صاحب تاريخ أصفهان، ولمعرفة مشاهير الحنابلة الأعيان، كما يسميهم

(١) المرجع للذكر.

(٢) الفهرست «ص ٨٣ طبعة مصر».

(٣) الأنبا «١ : ٣٦».

(٤) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى الفراء «١ : ٥٣ طبعة مصر».

(٥) المرجع المذكور «١ : ٩٦».

(٦) المرجع المذكور.

المؤرخون ، ينبغي تصفّح سيرهم في طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن الفراء الذي قدمت ذكره ، وذيله لابن رجب البغدادي ، وإذا أشرنا إلى شيوع المذهب الحنبلي في أصفهان فنحن نريد جمهور العامة الذين كانت الحياة الاجتماعية ، تعتمد على أحوالهم ومنازلهم الدينية ، ومناحيهم المذهبية ، وقد ذكر المؤرخون أن أبا سهل الصعلوكي الأصفهاني أصلاً ومولداً الفقيه الشافعي المفسر الأديب المتكلم النحوي المتوفى بنيسابور سنة ٣٦٩ قد كان ترك أصفهان وانتقل إلى نيسابور معدن الشافعية سنة ٣٣٧ وأقام بها إلى حين وفاته ، فكانت إقامته بها اثنتين وثلاثين سنة ، وهو العصر العلمي التدريسي لهذا العالم الكبير ^(١) . وذكر المؤرخون أيضاً أن الأستاذ أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصفهاني الأصولي المتكلم الأديب الواعظ المؤلف المصنف كره الإقامة بأصفهان فقدم العراق وأقام فيه مدة يدرس العلم ثم توجه إلى الري ثم راسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم فورد نيسابور وأنشؤوا له بها مدرسة وبلغت مصنفاته في أصول الفقه ومعاني القرآن نحواً من مئة مصنف ودُعي إلى غزاة فذهب إليها ثم عاد إلى نيسابور وقيل إنه سمّ في الطريق قبل بلوغه إياها فمات سنة ٤٠٦ ^(٢) .

إن هجرة هذين العالمين وأمثالهما وإن كانت مصحوبة بدعوة أو التماس أو ترغيب لا تخلو من بواعث مذهبية واجتماعية واقتصادية ناشئة عن المكان والزمان والحكم والسلطان ، قال شمس الدين بن خلكان في ترجمة عبد الوهاب بن علي الثعلبي الفقيه المالكي المتوفى بمصر سنة ٤٢٢ نقلاً من كتاب الذخيرة لابن بسام الأندلسي : « ونبت به بغداد كمعادة البلاد بذوي فضلها وعلى حكم الأيام بمحسني أهلها ، نفع أهلها وودّع ماءها وظلّها وحُدثت أنه شيعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محاربا جملة موفورة ، وطوائف

(١) الوفيات ٢ : ٢٢ طبعة بلاد المعجم .

(٢) الوفيات ٢ : ٥٦ - ٥٧ .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

كثيرة وأنه قال لهم : « لو وجدت بين ظهرائكم رغبين كلَّ غداة وعشية ، ما عدلت عن بلدكم لباوغ أمنيّة وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن	وُحِق لها مني سلام مضاعفُ
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها	وإني بشطي جانبها لعارفُ
ولكنها ضاقت علي بأسرها	ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخيلٍ كنتُ أهوى دنوه	وأخلاقه تنأى به وتخالِفُ

وله أيضاً :

بغداد دار لأهل المال طيبة	وللعفاليس دار الضنك والضيق
ظلمتُ حيران أمشي في أزقتها	كأنني مصحفٌ في بيت زنديق ^(١)

وقال الخطيب البغدادي في ترجمته : « كتبتُ عنه وكان ثقة ولم نلق من المالكيين أحداً أفقه منه وكان حسن النظر جيد العبارة وتولى القضاء ببادرايا وباكسايا وخرج في آخر عمره إلى مصر فمات بها »^(٢) ، وقال ابن خلكان : « كان فقيهاً أديباً شاعراً صنف في مذهبه كتاب التلقين وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة وله كتاب المعونة في شرح الرسالة وغيره وعدة تصانيف »^(٣) .

إذن لماذا هاجر عبد الوهاب المالكي إلى مصر ؟ لا أشك في أن السبب هو تضائل شأن المذهب المالكي ببغداد والعراق وقلة الاقبال على دراسة فقهه قلة تشبه الصد والاعراض ، وقد استمر ذلك التضائل حتى لقد استقدم المستنصر بالله العباسي في الثلث الأول من القرن السابع للهجرة لمدرسته المستنصرية فقيهاً مالكياً من البلاد المصرية للتدريس فيها ،

(١) الوفيات « ١ : ٣٢٩ - ٢٣٠ » .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب « ١١ : ٢١ » .

(٣) الوفيات « ١ : ٣٢٩ » .

ولم أزل أعجب من تهيؤ وجود الطلاب الذين كانوا يدرسون فقه ذلك المذهب في تلك المدرسة بذلك العصر .

وهذه الألوطة التي لحظتها في تاريخ أصفهان الاجتماعي لا تعني أنها كانت خالية من المتمذهبين بالمذاهب الأخرى كالشافعية والحنفية والامامية ، بل تعني الأغلبية المذهبية ، وهي النحلة الحنبلية ، التي كان استبدادها واعتدادها بنفسها من الأسباب الكثيرة التي التي حملت النحلة الاسماعيلية الباطنية على أن تتجدها في نواحي أصفهان بشخصية ابن عطاش وأتباعه وغيرهم من الاسماعيلية الفشتاك ، كما هو مبسوط في التواريخ .

ولما نبغت الدولة السلجوقية الحنفية المذهب على يد طغرل بك السلجوقي وعون وزيره عميد الملك منصور بن محمد الكندري الحنفي المذهب ، وانتهى المذهب الشافعي على يد نظام الملك الطوسي تضاءلت سلطة الحنابلة بأصفهان ، والناس على دين ملوكهم ، ويعنون بالملوك الأملاك والوزراء والأمراء لا الملوك وحدهم ، وانتقل النزاع بين الشافعية والحنفية ، قال ياقوت الحموي : « وقد فشا في أصفهان الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية ، والحروب متصلة بين الحزبين ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها ، لا يأخذهم في ذلك إلّا ولا ذمة ومع ذلك فقلّ أن تدوم بها دولة سلطان أو يقيم بها فيصلح فاسدها ، وكذلك الأمر في رسايقها وقرأها التي كل واحدة منها كالمدينة » ^(١) .

وقد رجحت كفة الشافعية بأصفهان بعد انتقال بني الخجندی إليها ، والخجندیون منسوبون إلى مدينة خجندة ، من مدن ما وراء النهر على شاطئ نهر سيحون ، ومنطقة ما وراء النهر من بلاد المناطق الحنفية ولم تكن ، ألقاً للمذهب الشافعي ، ولا عبرة بالأفراد المعدودين يومئذ في الشافعية أو الجمهرات المتضافرة كما في الشاش ، قال ياقوت الحموي : « شاش قرية

(١) معجم البلدان في مادة « أصفهان » .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

بالريّ النسبة إليها قليلة ولكن الشاش التي خرج منها العلماء ونسب إليها خالق من الرواة والفصحاء فهي بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون ، متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعية المذهب وإنما أشاع بها هذا المذهب مع غلبة مذهب أبي حنيفة في تلك البلاد أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي ... » (١) .

قال عز الدين بن الأثير : « أصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر يتسبون إلى المهلب بن أبي صفرة [الأزدي] وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرور فأعجبه كلامه ، وعرف محله من الفقه والعلم ، فحمله إلى أصفهان وصار مدرساً في مدرسته بها ، فنال جاهاً عريضاً ودنيا واسعة ، وكان نظام الملك يتردد إليه ويؤوره (٢) . » اهـ والمقصود الذي أراه في إقرار نظام الملك الشيخ الخجندي الواعظ في أصفهان هو تقويته الجبهة الشافعية بقوة جديدة بعد تأسيس المدرسة النظامية فيها ، وذلك باسناد التدريس إلى فقيه واعظ عربي الأصل من قبيلة الأزدي ظاهرة .

ومنذ أواخر العصر الخامس أعني القرن الخامس للهجرة صارت الكلمة النافذة بأصفهان لبني الخجندي الشافعيين ، وازداد هذا المذهب قوة بانتقال الخلفاء العباسيين إلى المذهب الشافعي في ذلك العصر أعني القرن الخامس ، وقد ذكر أبو المظفر يوسف بن قزأغلي المعروف بسبط ابن الجوزي في تأريخه مرآة الزمان أن أبا محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٦٠٠) لما دخل أصفهان وقف على كتاب لأبي نعيم الأصفهاني الحافظ مؤرخ أصفهان ألفه في معرفة الصحابة فانتقد عليه في مئة وتسعين موضعاً ، فطلبه بنو الخجندي ليقتلوه فاختلفوا وخرج من أصفهان في إزار (٣) .

(١) المرجع المذكور في « شاش » .

(٢) السكامل في التاريخ ١٠ : ١٢٨ طبعة مصر .

(٣) مختصر مرآة الزمان ٨ : ٢١ طبعة حيدر آباد الدكن .

ولست في سبيل البيان عن أعيان أصفهان وإنما أردت أن أوضح بما قدمت من هذا التمهيد بعض الأسباب التي حدت أصفهان على التمسك بالعروبة والعربية قديماً ، حتى لقد كان الشعراء الذين ينظمون بالفارسية قلما تجد منهم أصفهانيين ذوي دواوين شعر بل ندر ذلك حق النادر ، إن المفضل المافروخي ذكر في كتابه محاسن أصفهان الفقهاء العلماء والأدباء ، والشعراء بالفارسية بعشرات ^(١) ولكن أين أشعارهم وآثارهم ودواوينها ؟ لست عالماً بتأريخ الأدب الفارسي ولكني لم أسمع ولم أقرأ إلا اسم جمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني الشاعر ، واسم ابنه كمال الدين إسماعيل الاصفهاني الشاعر وأسماء من ذكرهم زكرياء بن محمد القزويني ، قال القزويني في الكلام على أصفهان : « وأما أرباب العلوم كالفقهاء والأدباء والمنجمين والأطباء فأكثر من أهل كل مدينة سيما فحول الشعراء أصحاب الدواوين ، فاقوا غيرهم بلطافة الكلام وحسن المعاني وعجيب التشبيه وبديع الاقتراح مثل رفيع فارسي دبير وكمال زياد وشرف شفروه وعز شفروه وجمال عبد الرزاق وكمال إسماعيل ويعن مكي فهوؤلاء أصحاب الدواوين الكبار ، لا نظير لهم في غير أصفهان » ^(٢) .

وقال ابن الفوطي : « كمال الدين أبو الفضل إسماعيل بن أبي محمد عبد الله بن عبد الرزاق الاصفهاني الأديب الفاضل ، أحد فضلاء الدهر ونبلاء العصر ، ممن يضرب به الفضل في الفطنة والذكاء ، وديوانه يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر السائر ، الفصيح النادر ليس لفضلاء العجم شبهه وهو صاحب رسالة القوس التي لم يصنف في فنّها مثلها ، ابتداء فيها [بقوله] : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسألونك عن ذي القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكراً ، إنّا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً ^(٣) . وهي بديعة في فنّها ، وختمها بأبيات أولها :

من صنعة الباري لديّ مطية عجماء تبصر في الضلوع عظامها

(١) كتاب محاسن أصفهان بالفارسية « ص ٢٢ - ٢٤ » .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد « ص ٢٩٦ - ٢٩٩ طبعة دار صادر بيروت » .

(٣) سورة السجدة الآية ٨٣ .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

واستشهد على يد التتار بأصفهان سنة خمس وثلاثين وستائة^(١) . اهـ . وأشعاره مشهورة عند الفرس .

هذا وإننا ليعيننا حقاً الدور الذي قامت به أصفهان في قصة الأدب العربي ومن أجله عقدنا هذا الكلام وبسطنا هذا التمهيد ، وأول من نذكر من الأدباء الاصفهانيين المبرزين ذوي الآثار الأدبية الخالدة أبو الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي الحسيني ، قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « شاعر مفلق ، وعالم محقق ، شائع الشعر ، نبهه الذكر ، مولده بأصفهان وبهامات في سنة ٣٢٢ وله عقب كثير بأصفهان فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير ، وكان مذكوراً بالكاء والفتنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد ، معروف بذلك مشهور به وهو مصنف كتاب (عيار الشعر) وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض لم يسبق إلى مثله ، وكتاب المدخل في معرفة المعنى من الشعر وكتاب في تقريلظ الدفاتر ، ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني - يعني مؤرخ أصفهان - قال : سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله المعتز أنه كان طبعاً بذكر أبي الحسن ابن طباطبا . مقدماً له على سائر أهله^(٢) ... » ثم بسط سيرته نقلاً من كتاب شعراء أصفهان لحمزة الأصفهاني المذكور آنفاً وأورد أشعاراً من أشعاره ، وقال ابن عنبه في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : « وأما أحمد الرئيس ابن طباطبا ويكنى أبا عبد الله فأعقب من رجلين أبي جعفر محمد وأبي إسماعيل إبراهيم ، وجمهور عقبه يرجع إلى أبي الحسن الشاعر الأصفهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المذكور صاحب كتاب نقد الشعر وغيره^(٣) . » وكتاب نقد الشعر أعني عيار الشعر أشهر كتب النقد البارعة الفني للشعر العربي ومن أقدمها إن لم يكن أقدمها ، وقد اتخذته نقاد الشعر إماماً لهم ومنهاجاً ،

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٢٩١ من ألقاب الكافي ، طبعة لاهور .

(٢) معجم الأدباء « ٦ : ٢٨٤ .

(٣) عمدة الطالب « ص ١٥٣ طبعة الهند .

على ما هو مثبت في كتاب الموشح لأبي عبيد الله المرزباني ، ووارد في كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني وفي كتب أخرى ، وقد طبع كتاب عيار الشعر بمصر سنة ١٩٥٦ قام على طبعه الأستاذ طه الحاجري والأستاذ محمد زغلول سلام ، وقدما بمقدمة موجزة في بيئة المؤلف الأدبية العربية الأصفهانية وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة .

ونذكر بعده أبا الفرج علي بن الحسين الأموي المرواني الاصفهاني العلامة النسابة الأخباري الأديب الحفظة المؤرخ الناقد المؤلف المصنف صاحب الأغاني ومقاتل الطالبين وغيرها وهو وإن لم ينشأ في أصفهان ، يدلُّ نسبه على أن أصفهان كانت ملاذاً لبعض بني أمية في أيام فتك بني العباس وتكليفهم بهم ، وكثير من الأصفهانيين كانوا ينتسبون بنسب « القرشي » وهو عندي من وسائل تسرُّ بني أمية أيام الإرهاب والاضطهاد والنكال التي كان يأتونها أعداؤهم كائنين من كانوا ، حتى لقد ذكر ابن الفوطي في كتابه « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » أن عماد الدين أبا عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني كان قرشي النسب ^(١) ولكنه لم يرفع نسبه إلى فرع من فروع قريش ، وقال شمس الدين الذهبي في ترجمة بعض الأصفهانيين في تذكرة الحفاظ : « معمر بن عبد الواحد ابن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر الحافظ أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الاصفهاني المعدل الواعظ ^(٢) » على حين أن تاريخ ابن الديلمي كان قد ذكره باسم « معمر بن عبد الواحد بن رجاء بن عبد الواحد بن محمد بن الفاخر بن أحمد بن أبي القاسم القرشي الاصفهاني الواعظ ^(٣) » ، فالقرشي في تاريخ ابن الديلمي قرشي عبشمي في تاريخ الذهبي

(١) تلخيص معجم الألقاب « الجزء الرابع في لقب عماد الدين » ، ووزارة الارشاد والثقافة بسورية قائمة بطبع هذا الجزء من الكتاب بتحقيقنا وتعليقنا .

(٢) تذكرة الحفاظ : ١١٠ طبعة حيدر آباد المكن الأولى .

(٣) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديلمي ، اختصار الذهبي « نسخة المجمع الورقة ١١٥ » .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

والعشيمي من عبد شمس بن عبد مناف والد أمية الأكبر جدّ الأمويين .
وفي عصر بني بويه كان متوقفاً أن تقل حماسه العروبة الاصفهانية ولكنّ لسان حالها
كان ناطقاً بقول شاعرها أبي سعيد الرستمي :

إذا نسبوني كنت من آل رستم ولكنّ شعري من لؤي بن غالب

قال الثعالبي في اليتيمة : « لم تزل أصفهان مخصوصة من بين البلدان باخراج فضلاء
الأدباء ، وخولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت صاحب بن عباد أبا القاسم وكثيراً من
أصحابه وصنائه وصارت مركز عزّه وجمع ندمائه . ومطرح زوّاره استحققت أن تدعى
مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب أصفهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين
الاصفهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه ذكر شعرائها وشعراء الكرج المقطعة عنها وسياقة
عيون أشعارهم ومُلح أخبارهم - وذكر أسماء خمسة وثلاثين شاعراً - ثم تأملت هذا الباب
من كتابي هذا وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم كعبدان
الاصفهاني المعروف بالخوزي وأبي سعيد الرستمي وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد
الخازن وأبي العلاء الأسديّ وأبي الحسين الغويري حكمت لها بوفور الحظ من أعيان
الفضل ، وأفراد الدهر وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها وصحة تربتها
وعذوبة مائها في طباع أهلها وعقول أنشائها ^(١) » .

وذكر من الشعراء العصريين عبداناً الاصفهاني المعروف بالخوزي وأورد له شعراً
شاعراً وافرأ ، وذكر بعده أبا محمد عبد الله بن أحمد المعروف بالخازن وبعده أبا العلاء
الأسديّ وأبا الحسن الغويري ^(٢) . إن قصة الأدب العربي في أصفهان ما انفكت في
العصر البويهّي تقدّم أعلام الأدباء والشعراء ومنهم أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، طبعة الصاوي .

(٢) المرجع المذكور ٣ : ٢٦٨ - ٣٠٨ .

الاصفهانى مؤلف شرح الحماسة الجليل المطبوع أخيراً ومؤلف كتاب الأزمنة والأمكنة
الفريد المطبوع بالهند ، ومؤلف غيره من الشروح الأدبية والنحوية ، وقد توفي سنة ٤٢١ قال
ياقوت في معجم الأدباء في ترجمته : « قال صاحب بن عباد فاز بالعلم من أصفهان ثلاثة :
حاتك وحلاج وإسكاف فالحاتك هو المرزوقي والحلاج أبو منصور بن ماشده والاسكاف
أبو عبد الله الخطيب بالري صاحب التصانيف في اللغة ^(١) » .

وانصرفت أيام بني بويه وتلاها عصر بني سلجوق وفيه شبّ الأدب الفارسي وترعرع
وقويت اللغة الفارسية ، والأدباء الاصفهانيون مقيمون على ولعهم باللغة العربية ولهجهم بالأدب
العربي ، ويمثل لنا من بينهم الأديب اللغوي الحكيم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الاصفهانى ^(٢) مؤلف مفردات القرآن الكريم الهابط على أسرار اللغة العربية ، الوحيد
في بابهِ ومؤلف كتاب المحاضرات الذي جمع بين النفاسة والامتناع وسعة الاطلاع ومؤلف
كتاب التريفة إلى مكارم الشريعة المطبوع بمصر سنة ١٣٢٤ الهجرية وكتاب تفصيل
النشأتين وتحصيل السعادتين المطبوع ببيروت سنة ١٣١٩ الهجرية .

وعلى حين كان الشعر الفارسي ينتظر نهضة يقوم بها شاعر اصفهانى كما نهض الروذكي
أبو عبد الله جعفر بن محمد في أواخر القرن الثالث ، والثالث الأول من القرن الرابع للهجرة ،
ظهر بأصفهان مؤيد الدين نحر الكتاب والشعراء أبو إسماعيل الحسين بن علي اصفهانى
المعروف بالطغرائى صاحب لامية العجم التي فاقت لامية العرب للشنفرى وغيرها ^(٣) ، وديوانه
يغني الباحث عن الامعان في البحث عن مزاياه الشعرية ، وشرح الصفدي للامية العجم

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٠٣ .

(٢) أعلني الأستاذ المحقق بديع الزمان فروزانفر الايراني أن الأستاذ المحقق محمد عبد الوهاب القزويني
رح - كان يرى أن الراغب الاصفهانى من أهل القرن الرابع .

(٣) راجع معجم الأدباء ٥ ج ٤ ص ٥١ ، والوقبات ١ : ١٧٥ ، وتختصر مهارة الزمات
٨٩ : ٩٣ ، ٩٤ .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

بمجلديه الكبيرين يعرب عن فضل هذا الشاعر الفحل المقتدر وسمّو مقامه بين شعراء العربية ، وإن كان عصره متأخراً ، واستشهد في الربع الأول من القرن السادس للهجرة ، لأن الصفدي كان من كبار الأدباء وكبار المؤرخين فتوفره على شرح تلك القصيدة يدل على جلالها ونفاسها وروعها الفنية .

وفي القرن السادس للهجرة وما يليه لم تغبّر حدة اللغة العربية ، ولا ضعفت الرغبة العامرة بأصفهان في اللغة المذكورة ، ويمثل هذين الزميين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني الملقب بعماد الدين الكاتب ذو الملكتين البارعتين النثر والشعر ومؤلف الكتب النفيسة الجليلة الفائقة الرائقة في الأدب والتاريخ ، فضلاً عن براعته في فقه الامام الشافعي^(١) وكتابه الخريدة أعني خريدة القصر وخريدة العصر أجل مرجع في سير شعراء القرن السادس خاصة ، على اختلاف البلاد والأقطار العربية والاسلامية ، وهو كتاب حافل عظيم الحجم والأجزاء ذكر فيه شعراء إيران والعراق وشمال إفريقية والأندلس ، وقد طبعت منه أجزاء ولا تزال أجزاءه الأخرى في طريق المطابع وفي المطابع ، وكتاب الخريدة هو مرجع مؤرخي الأدب العربي للعصر المذكور ، لا يستطيعون عنه حولا ، وكتبه الأخرى الفتح القسي في الفتح القدسي الذي ضمنه تاريخ فتح صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس سنة ٥٨٣ وما قبله وما بعده ، هي من أجل التواريخ وأصدقها لهجة وأقواها حجة وكذلك كتابه البرق الشامي في حروب صلاح الدين عموماً والحروب الصليبية ببلاد الشام خصوصاً ، وتاريخ بني سلجوق ، ونصرة الفترة وعصرة الفطرة الموجود منه نسخة بدار

(٢) راجع الجوامع المختصر « ٩ : ٦١ - ٦٤ » ومختصر مرآة الزمان « ٨ : ٥٠٤ - ٥٠٨ » والوفيات « ٢ : ١٨٨ » وتلخيص معجم الالقاب في الجزء الرابع في لقب « عماد الدين » والتكلمة لوفيات النقلة للمندري « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٩ وتاريخ الاسلام للذهبي « نسخة دار السكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٠٥ » ومختصر معجم الأدباء « ٧ : ٨١ - ٩٠ » ، ومقدمة الجزء الأول من خريدة القصر بقلم الأستاذ محمد بهجة الأثري .

الكتب الوطنية بباريس ، واختصره قوام الدين أبو إبراهيم الفتح بن علي البنداري
الاصفهاني وسماه (زبدة النصره ونخبة العصر) وهو مطبوع ، وقد توفي العماد الاصفهاني
بدمشق سنة ٥٩٧ بعد أن زاد في ثروة الأدب العربي والتاريخ الاسلامي زيادة جعلته من عظماء
المؤلفين فيه على اختلاف المصور بله رسائله الاخوانية ورسائله الديوانية وديوان شعره .
وعاصره معايرة التلميذ للأستاذ قوام الدين أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد بن الفتح
ابن أحمد بن هبة الله البنداري الاصفهاني الأديب المنشيء ، ويغنيانا في إيجاز سيرته كمال الدين
ابن الفوطي في كتابه تلخيص معجم الألقاب في الجزء الرابع منه فقد قال بعد ذكر لقبه
واسمه وأسماء آبائه ونسبه على النحو الذي ذكرته : « أحد فضلاء الدهر ونبلاء العصر ، نثره
كوشي البرود ، ونظمه كنظم العقود وسلافة العنقود ، دخل بلاد الشام وكان من تلامذة
عماد الدين الكاتب (كذا) وكان كاتباً سديداً وترجم كتاب شاهنامه من نظم الفردوسي
الطوسي لأجل الملك المعظم عيسى بن العادل ، رأيها بخطه وانتخب كتاب البرق الشامي في
كتاب سماه (سنا البرق الشامي) وانتخب كتاب نصره الفترة وعمرة الفطرة للعماد في كتاب
سماه (زبدة النصره ونخبة العصر) وله أشعار ورسائل وكان مولده في منتصف شعبان
سنة ٥٨٦ وفارق وطنه [أي أصفهان] وأقام بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة وكانت وفاته
بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٣ . وترجمته لأقسام من الشاهنامه قد نشرها الدكتور
عبد الوهاب عزام المصري ، وقد أشرت إلى طبع زبدة النصره ، وله كتاب « تاريخ بغداد »
وجدنا منه الجزء الأول بدار الكتب الوطنية بباريس أرقامه ٦١٥٢ من العربيات وتاريخ
نسخه سنة ٦٣٩ بدمشق وفيه نقصان ، وكانت وجهة البنداري الترجمة من الفارسية الى
العربية وهو الأمر الذي نريده . وحل عصر مصلح الدين سعدي الشيرازي الشاعر الفارسي
الذي إن لم يكن شمساً في سماء الشعر الفارسي فهو قمر من أقمارها الزاهرة الباهرة المبدرة ،

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وقد عاصر مصلح الدين السعدي الدولة العباسية والدولة الأيلخانية المؤسسة في غربي إيران والعراق وفي بلاد الروم المعروفة بآسية الصغرى عند الجغرافيين الغربيين ، وقد انتشرت اللغة الفارسية في عصر الدولة الأيلخانية انتشاراً واسعاً ، واستبدت بالدواوين والأواوين للكتاب والوزراء ، وتضاءلت قبالتها اللغة العربية ، وأتقن الملوك الأيلخانيون المتأخرون لغة الفردوسي حامل مشعل الشعر الفارسي بعد الروذكي العظيم ، الذي أشرت إليه آنفاً في هذا الحديث ، واستفحل الشعر الفارسي ، وصار أنس المجالس ، وممتعة الأديب والدارس ، وتحفة المحاضرات والمحاورات ، وملحة المخبرات والمنبآت ، إلا أصفهان فانها ما زالت أيامئذ تصور عواطفها بالشعر العربي الذي يمثل في عصر هذه الحضرة بين الدولتين العباسية والأيلخانية نظام الدين الأصفهاني الذي هو الطرف الأدبية في هذا الحديث وهذه المحاضرة .

ونظام الدين الأصفهاني الشاعر من الشعراء الخالدي الآثار الذين لم ينصفهم التاريخ فؤرخو الأدب الفارسي أهملوه لأنه سار على السنة الأصفهانية في التزام الأدب العربي ، ومؤرخو الأدب العربي أغفلوه لأنهم لم يخالطوه ولا اجتهدوا في تقصي أخباره لبعده عنهم ، أو لقلة عنايتهم بأخبار الشعراء ، في ذلك العصر المضطرب السياسة ، المرهب الحكم ، الكثير سفك الدماء البشرية ، الساقط تحت وطأة الياسا قانون جنكيزخان ، ذاك القانون الماحق الساحق ، الغريب الرهيب ، المستفحل بأحكام الياوغو أي المحكمة الجنكيزية التي لا تبقي ولا تذر ، وتعدّ البشر كالبقرة ، لاجرم غفى الزمان على ذلك القانون وأحكامه ، وصار من أحاديث القرون الخالية .

ومجموع نظام الدين الأصفهاني يسمى «ديوان المنشآت» استعارة من «الجواري المنشآت كالأعلام» ومنه نسخة اطلعت عليها في دار الكتب الوطنية بباريس أرقامها «٣١٧٤» من العربيات ، ويظهر من مقدمته أنه أهدها إلى شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان

الممالك على عهد هولاكو وعهد ابنه أحمد تكوار ، وهو يقول فيها : « وهذه اللعة موسومة بشرف إيوان البيان في شرف بيت صاحب الديوان ، ولو أتيح طول العمر لي بارخاء ، وهب من نسائم قبول الحضرتين رخاء ، أخذت في وضع كتاب في أحوال هذه الدولة » . وجاء في أوائل الديوان « قال مولانا أفضى القضاة أفصح العرب والعجم نظام الدين القاضي يمدح المستنصر بالله أمير المؤمنين وأنفذها من أصفهان إلى بغداد :

لأُمُوا ولو بهم ما بي لما لاُمُوا فيم الملام وبذل الروح قد راُمُوا !

وفي أيام كينوتى بباريز وكون العلامة المؤرخ الأديب محمد عبد الوهاب القزويني بها - تغمده الله برحمته - سألته عن نظام الدين الأصفهاني ، فكتب إلي كتاباً أرّخه باليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٩٣٧ وهذا نص كتابه « حضرة الأستاذ العلامة (كذا) مصطفى أفندى المحترم » .

« تسلمت مكتوبكم الكريم المؤرخ بالخامس من الجاري . لم أظفر بترجمة القاضي لنظام الدين الأصفهاني صاحب شرف إيوان البيان في شرف بيت صاحب الديوان - الذي تصفحته أنا أيضاً في الأيام الماضية وتكلمت عنه مختصراً في مقدمة الجزء الأول من جهانبكشاي لعلاء الدين الجويني - فيما بيدي من الكتب إلا في مؤلفين فارسيين كلاهما من المآخذ المتأخرة بكثير عن عصره وكلاهما محتوياتها ضئيلة عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع ، أحدهما تاريخ عام موسوم بحبيب السّير لغيث الدين خواندمير الهروي المؤلف في حدود سنة (٩٣٠) والثاني مجالس المؤمنين للقاضي نور الله الشوشتری الذي تعرفونه حضرتكم ، ولكن لا توجد ولا كلمة واحدة في ذينك المأخذين مما يتعلق بتاريخ حياة القاضي نظام الدين المذكور أو سنة ولادته أو تاريخ وفاته ولا شيء من هذا القبيل أصلاً بل صاحب حبيب السير اقتصر على أنه كان من مدّاح بيت صاحبي الديوان ثم ذكر بعض أبيات له في مدح شمس الدين الجويني . والقاضي نور الله ذكر علاوة على ذلك أنه كان من

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

الشيعة الخلاص ثم أخذ يسرد مقطعات وغيرها دالة على تشيعه بزعمه أو على الحقيقة ، هذا غاية ما في الترجمتين هاتين اللتين كما ترون حضر تكم لا تستحقان أن تسمّيا ترجمة حال بالمعنى المصطلح « ١ هـ .

وأحسب والحسبان قريب من الظن أن ابن الفوطي ترجمه في كتابه الذي قدمت ذكره أعني تلخيص معجم الألقاب إلا أن جزء النون الذي هو الجزء السادس غير معثور عليه حتى الآن ، وقد نقلت آنفاً إشارة في عبارة تشير إلى مدحه الخليفة المسننصر بالله العباسي وقد توفي كما هو معلوم سنة (٦٤٠ هـ) وجاء في الورقة ٨٣ من الديوان ما هذا نصه : « وقال يذكر وقعة أصفهان وكانت في سنة إحدى وثلاثين وستمائة معارضاً لقصيدة العميد » . وورد في الورقة ٨٥ « وقال وكتبه على دار بهاء الدين محمد بن صاحب الديوان » وقد جاء في الأبيات قوله :

لستمائة وثمانين عاماً أعاد العماره بعد انهدام

فعلمت أن سنة (٦٨٠ هـ) كانت من سني عمره وكان حياً فيها ، وبهاء الدين محمد بن شمس لدين صاحب الديوان كان والياً على أصفهان في ذلك الزمان ، ذكره مؤلف التاريخ المجهول الذي قت بطبعه وسميته باقتراح بعض الباحثين « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » الذي هو لابن الفوطي ثم تبين لي بالتأكد والتحقيق أنه ليس بالحوادث الجامعة ولا يصح أن ينسب الى ابن الفوطي بوجه من الوجوه ، وأن القول الراجح عندي أنه جزء من تاريخ « محب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المترجم في تلخيص معجم الألقاب بما هذا نصه : « محب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أبي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المقرئ ، من العلماء الثقات والحفاظ الاثبات ، قرأ القرآن الكريم على والده وكال كثير التلاوة عارفاً بالتفسير والقراءات قال أنشد أبو علي هلال بن المظفر الزنجاني لنفسه :

أودعته سرّي مستكتماً فبشه الأحق في الحال
من يضع السرّ لديه فقد أودع ماءً فوق غربال

وكان كثير المطالعة عارفاً باللغة ورتب شيخ دار القرآن المعروفة بالبشيرية على ساحل دجلة ، بالجانب الغربي واشتغل عليه جماعة من الأعيان ، سألته عن نسبه فذكر أنه ينتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب [ع] وسألته عن مولده فذكر أنه ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وستمائة ، وصنف تاريخاً على السنين وتوفي في صفر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وكان قد صلى ولم يعلم بموته غير زوجته ودفن بباب حرب » . اهـ ودفنه بمقبرة باب حرب يشعر بأنه كان علوياً متحنبلاً . لأن مقبرة باب حرب مقبرة الحنابلة منذ أواسط القرن الثالث للهجرة .

أجل ذكر مؤلفه بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد الجويني ، وقد جاء في سيرته من ذلك التاريخ المشار اليه في حوادث سنة ٦٧٨ : « وفيها توفي بهاء الدين محمد بن صاحب شمس الدين المذكور ، وكان ملكاً بأصفهان ظالماً سيئ السيرة ، متفناً في الظلم ، جدّد القتل بالقنارة التي كان وضعها البساسيري في أيامه وقد نسيت لطول العهد بها » . وقال في حوادث سنة ٦٩٤ : « وتوفي نور الدين عبد الرحمن بن تاشان بعد قتل نحر الدين مظفر ابن الطراح بمدة شهرين وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل وأحدث القنارة بواسط كما أحدثها بهاء الدين في أصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري » .

وباسم بهاء الدين الجويني هذا ألف الشيخ عماد الدين الحسن بن علي الطوسي المعاصر لنصير الدين الطوسي كتابه « الكامل البهائي » في مناقب أهل البيت ، و « الأربعين البهائية » في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، ويبقى اشكال في التاريخ الذي ذكره القاضي نظام الدين الاصبهاني لعامة دار بهاء الدين الجويني وهو سنة (٦٨٠) مع أن وفاة

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

بهاء الدين كانت سنة ٦٧٨ والظاهر أن الضرورة الوزنية حملت القاضي على التساهل .
وقد بحثت عن اسم نظام الدين الأصفهاني في كتاب « تاريخ الأدب في إيران من
الفردوس إلى سعدي » تأليف أدوارد گرانفيل براون المستشرق الكبير وترجمة الأستاذ
إبراهيم أمير الشواربي ، ولخصت عنه في الفهرست فلم أقع له على ذكر ما عدا وهما حدث فيه
مع أن هذا العالم ذكر جماعة من الشعراء الفرس الذين نظموا بالعربية ولم ينظموا بالفارسية
ذكرهم لسبب من أسباب التأليف . ولذلك الاخفاق وتلك الحيلة أجتزئ به ذكر جملة من
أشعار نظام الدين الفاتكة الرائقة ، قال يمدح الخليفة المستنصر بالله :

لأَمْوَا وَلَوْ بِهِمْ مَا بَى لِمَا لَأَمْوَا	فِيمَ الْمَلَامُ وَبَذَلَ الرُّوحَ قَدْرَامُوا
قَاسُوا بِشَأْنِهِمْ شَأْنِي وَمَا عِلْمُوا	أَنِّي سَهَرْتُ اشْتِيَاقًا إِذْ هُمْ نَامُوا
سَامُوكَ صَبْرًا عَنِ الْأَطْعَانِ غَادِيَّةً	وَالْقَتْلَ صَبْرًا لِعَمْرِي دُونَ مَا رَامُوا
تَعْجَبُوا مِنْ دَمُوعِ سَحْجٍ وَابِلُهَا	كَأَنَّهُمْ بَرَقَ ذَاكَ الثَّغْرِ مَا شَامُوا
وَالنِّعَمُ مِنْ نَفْسِ الْعِشَاقِ مَرْتَكِمُ	وَبِالْحَنِينِ يُرَى لِلرَّعْدِ إِرْزَامُ
وَاهَا لِبَارِقِ ثَغْرِ خَاطِفٍ مُهَجَّجًا	لَوْلَاهُ لَمْ يَنْقَشِعْ لِلْهَجْرِ إِظْلَامُ
تُرِيكَ تِلْكَ الثَّنَايَا بِالْعَقِيقِ حَمَى	مِنْ دُونِهِ وَقَعَ الْعِشَاقُ إِذْ حَامُوا
نَفْسِي فَدَى صَحْنِ خَدٍ مِنْ مَلَاسْتِهِ	زَلَّتْ عَلَيْهِ لِمَلِ الْخَطِّ أَقْدَامُ
يَأْبَى لِرُقَّةِ قَلْبٍ أَنْ أَقْبَلَهُ	كَيْلَا يَمَسَّ ضِعَافَ التَّمَلُّ الْآلَامُ
هَذَا وَقَدْ سَفَكْتَ يَا لِلرِّجَالِ دَمِي	عَيْنَاهُ مَا سَاءَ لَهُ لِلصَّبِّ إِيْلَامُ
نَعَمْ جَلَا لِحَظِهِ سَيْفًا قَالَتْ سَبَقَ	السَّيْفِ الْعَوَازِلَ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ ذَامُ
قَلْبِي وَطَرَفَكَ وَالْأَرْوَاحُ دَانِيَّةٌ	قَدْ حَاطَتْهَا عَلَى الْعِيَالِ أَسْقَامُ
وَعَلَّةَ الضَّمِّ حَقًّا بَيْنَنَا وَجَدْتَ	فَلَمْ رَمَى الْجَمْعَ بِالتَّفْرِيقِ لَوَّامُ
مَاذَا الْجَفَاءُ وَفِيمَ الصَّدِّ يَا سَكْنِي	وَالْعَمْرُ كَالنَّوْمِ وَاللَّذَاتُ أَحْلَامُ ؟!

قد غالط الدهرُ فاذاً كر سوء صنعته
هذا الربيع وثغر الصبح ذو شنب
والصبح سلّ على الظلماء صارمه
والريحُ هزّت مهود الورد ناعمة
ومدّ أيديها الأغصانُ راقصة
تناهت بالرُّبى خيلُ الصَّبا فعلا
أطلق عنان الهوى واركب هواك وقم

نُسرَجُ كميّاً لها للعقل إلجامُ
فألانُ حقّ لخليل الطبع إحجامُ
عنفاً وما لمرام الحرّ إتمامُ
من سوط عزم إمام الحق إشمام
دارت كما شاء للأفلاك أجرام
ينبيك كفّ خضيب مدّ بهرام
كما لها دي البرايا خراً أصنام
في كل واد عداة خشية هاموا
فبين جدواه والآمال أرحام
غدت له لنظام الأمر قوّام
بأس ولين وألطف وأحلام
فانما الدين عند الله إسلامُ
فرض وفيه لأنف الكفر إرغام
ومن عصى فعليه النصّ إلزام

أنضيتُ نفسي بسوط العزم أقرعها
كم يجمع الطبعُ والأيام تكبجها
دهري حرون ويكفيني رياضته
مستنصر في ضام الله نصرته
والشهب في دم من عادي غمسن يداً
له الملوك على الأذقان ساجدة
في كلّ واد له صيت يهيم كما
يبلّ غلّه عافيه ببلتها
كما يقوم بنظم الكون أربعة
نار وماء وجوّ والثرى وكذا
قل للخوارج موتوا في ضلالتكم
هذا ابن عم رسول الله طاعته
يطيعه من أطاع الله متقياً

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وفي «أولي الأمر» قول الله حجتنا
أرى الخوارج مذ نامت جدودهم
قد غرهم طول إهمال وعن كذب
نعم سترفع في القتلى عقارهم
قد أتمر السعي في كيد العدى فعلى
كم قلت إذ قيل ضاهى النمل عدتهم
يا أيها النمل لا تعدوا مساكنكم
سار بأرعن زحاف الجهات ترى
خيل صيام تصلي الرياح إن سبقت
لو سابق الدهر لاستدراك نائبة
إن أرعدت بصهيل فالبروق ظبي
مظلومة الأرض تشكو ثقل وطأتها
خطت سطوراً صنفوف الجيش رائعة
فاقتضت عذرة فتح صارم ذكر
حجاً يرى أم جهاداً سيفه فغدا
ككوكب الرجم منقضاً به صمقت
هذي الشجاعة أنست ما أدل به
هذا وكم ضج بالزوراء ذو الجب
يود لو خرجت يوماً مراسمه
فيستخف بغاث الطير جارحه
وللأمور مواقيت مقدرة

وهم أعتنا بالحق قد قاموا
بها لسيفك مثل الطيف إمام
يظلمهم كسود الليل أعلام
إذا تداعوا وما للسيف إدمام
أيدي عبيدك منهم يقطف الهام
وما لهم عن لقاء القرن إحجام
ومن سليمان لا يحط بك إقدام
بمصر من خوفه ترجأ أهرام
يحثها لاقتحام الروح مقدم
رُدَّ مما طواه الدهر أعوام
وكالحيا من دم المُرَّان مشجام
كما الهزيمة تلقى الدهر أهضام
وللقنا والظبي تقط وابعجام
جرح المدى بعده ما كاد يلتام
دماً يحلّ وبالتجريد إحرام
جن سمت في ظلام النقع عرام
في العرب عمرهم والفرس بهرام
من صوته لعدى الأبطال إصمام
فتمتطي كاهل الأقدار أحكام
ويفرس الثعلب الرواغ ضرغام
والدهر عادته نقض وإبرام

يا حجة الله والجل المتين وامن في غير مرضاته الطاعاتُ آثام
 إن تملّ تابعة الجن القريضَ فلي في نظم مدحك من جبريل إلهام
 وتترت عود بناني منصفاً فدع العودَ الموتّر منه انشال إلهام
 فهاكها درّة بل بحر فائدة لدى العقول ببذل الروح تستام
 أخزيتُ في جنبها قول ابن فورجة « هذي العلا لأحبيلات واغنام »
 من رام باللفظ والمعنى مساجلتي خاتمه لاسّجل أكراب وأوذام
 وبالدهاء أرى ختم الكلام فما كادت توفيك حق المدح أفهام
 بعدلك الأرض قامت والسماء فقم بالحق ما قام بالأرواح أجسام ^(١)
 وقال يمدح وزير دار الخلافة والظاهر أنه نصير الدين أحمد بن الناقد وزير المستنصر بالله

الشافعي المدفون في الكاظمية كما جاء في التواريخ :

أهاب بسرّ القلب شوقي مناديا فلبّي بلا حرف وصوت مناديا
 نعم في إهاب الروح نجمي خفية طواها عن الأغيار قلبي مواريا
 ونقش على لوح الضمير لذكرها يدوم ولا نقش على الصخر باقيا
 تمثل في عيني وقلبي خيالها فلا النار تقنيه ولا الماء ماحيا
 ومما دهاني اليوم إنسان ناظر إليك اغتدى في الماء حرّان صاديا
 ولم أعط نفسي من وصالك حقها ولم أتنجز من هواك الأمانيا
 أتصبر نفسي عنك يا غاية المني وما أزداد هذا الحبّ إلّا تماديا
 حرمتُ التلاقي ثم لم أرضَ هجركم فخرّم ما بين الجفون التلاقيا
 فأنسان عيني دون طيفك منشد « بنفسي من يخفى عليه مكانيا »

(١) ديوان النشآت « نسخة باريس ، ٣١٧٤ الورقة ٧ م .

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وكم موعد بين الخيال وناظري
وليل قصير يجمع الطيب كله
إخال به ريطاً عليّ ممسكاً
طواه النوى عني ولم يظو ذكره
فأحببت ليل الهجر وهو يميني
أضمت محبباً لاشتياقك واجداً
وكنت إذا ما الهمُّ جاش بحارُهُ
أرى دوني الجهال حمراً هواملاً
ولا بدَّ للأغفال عن سمة النهى
سألتي على جبل الذراع مطالبي
وآمتاح أرواحاً بأرشية القنما
ولي في ضمان الدهر دين سينقضي
فما أشتقت غير السمر هيفاء تلتوي
ولم أرَ مثل النقع زلالاً إذا حمى
أجود بنفسي للذوابل مُروياً
فإن يك كعب جاد بالنفس قبله
فكعبي أعلى في الندى فاسأل القنما
وأين ابن أروى عن فعالي وإن يكن
ألسنت إذا هبت لنصر رياحه
قلقت ولا مثل الوشاح فلم أدع
فحثَّ بسوط العزم همك إن يقف

جعلت له طيب الكرى متقاضيا
كما جمع اللفظ القليل المعانیا
تضمّن نشر الطيب منه المطاوي
وما فات مسك أخلف النشر ذا كيا
فيالك إذ حاربت بالغدر واقيا !!
وبعت برخص في ولائك غالیا
ندبت لها صبري فألقى المراسيا
فأحمي لها في نار عزمي المكاويا
من الكي من داء الجهالة شافيا
وإن لم أصل جبل الجهول مداريا
أعاطي سجال الحرب قرني تساقيا
بالسن بيض ينطلقن مواضيا
ولا شمت دون البيض برقاً يمانيا
هجير الوغى إذ سرت للفيء باغيا
ولا عذر لي إن لم أروّ الطواميا
ليُروي ظمآنساً فسَنّ الأياديا
فء حياة قد منحت الصواديا
إذا هب ريح ينحر البدن شاتيا ؟
نحرت ولا بدن الأضاحي الأعاديا
لغير مكان الصدر يغشاه حاليا
حروناً ينفض للمراح النواصيا

وأورد من الآمال هيماً خواصاً
 هناك هناك الجوّد درّ سحابه
 هناك ولا تلقى مجالاً لقادح
 وتعبق أخلاق على نار عزيمة
 ويرعى ذمام المكرمات ودونه
 وتأرجح من طيب الشمائل روضة
 ويحمرّ خدّ السيف بالفتح ظافراً
 ولا تبهظ الأعباء مستضعفاً سوى
 وأحمد للعدل الصوارم رهبة
 أعاديك كالأقلام فوق رؤوسهم
 حنين ودمع والنحول وُصفرة
 رؤوس زهتها خفة فتطايشت
 وعزّمك ملء الأرض إن يضحّ لجّة
 أمختم العلياء دعوة فاضل
 أفي الحق أن أضحي وظلك وارف
 وألزم بيتاً كالروي مؤخرأ

وسير كالأمثال فكري القوافيا ؟
 أما من بني الدنيا كريم بعونه
 نعم ركبت ربح العلى وتصوّحت
 رياض الأيادي واغتدى الجهل شافيا
 فلو لا كريم طبّق الأرض بالندى
 نعمنا الله ثم الله والمعاليا

أصفهان معقل الأدب العربي في إيران

وقال يمدح بهاء الدين بن شمس الدين الجويني ملك أصفهان وبدأها بالغزل والنسيب على العادة القديمة :

حمل النسيمُ حكايةَ الأشواق أرأيتَ ضعفَ وسائلِ العشاق ؟
سفر الصَّبَا ما بينهم فتكاسلت ومع الحديث ترقى للمشتاق
وعلى شمائلها اتكال ذوي الهوى إن الصفاء مظنة الاشتاق
لم أقظ حقك يا ريح الصَّبَا إن أقرهنَّ عُلالة الأرماق
قلبي وطرفك والرياح مريضة فمن الطبيب وهل تُرى من راقٍ ؟

وقال في رسالة الخليل من إنشائه إلى صاحب ديوان الممالك شمس الدين محمد بن الجويني قصيدة أوائلها :

يا حادي الإبل الإِطلاح يثيرها من أصفهان إلى رُبى بغدادِ
إن هبَّ ريحُك فاغتنم فرص المني واسبق وفود الرياح بالاغذاذِ
واقصد بزوراء العراق معظماً لبني الزمان تراه خير ملاذِ
شمس الممالك غرّة الدنيا الذي بعُلاءه أجنسان النجوم قواذِ
مولى ملوك العرب والعجم الذي جرّت أواصرُ ذبولٍ نفادِ
ومنها : ورسالة الخليل اقتضيت بديهةً وعلى سنابكها الخيول حواذِ
أهديهم سبيل الرشاد مكرراً من أصفهان إلى رُبى بغدادِ

وله قصيدة في مناظرة السيف والقلم ، نظمها بإشارة من شمس الدين الجويني ، والديوان موجود فلا حاجة الى الاطالة المؤدية إلى السآمة والملالة بذكر أكثر مما اخترناه .

مصطفى جواد